ميراث الأنبياء
١٤٤٧هـ

تَفْرِيغ صَوْتِيَّة بِعنْوان:

حِفْظُ اللِّسَانِ و الإِعْرَاضُ عَنِ اللَّغْوِ

لِلشَّيْخِ: أبِي أَنَس الشَّامِي -تَقَبَّلَهُ اللَّه-

تَفْرِيغ صَوْتِيَّة بِعنْوان :

حِفْظُ اللِّسَانِ و الإِعْرَاضُ عَنِ اللَّغْوِ

لِلشَّيْخ : أبِي أَنَس الشَّامِي -تَقَبَّلَهُ اللّه-

ميراث الأنبياء
١٤٤٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهدِه الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- عبده ورسوله، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا).

أما بعد، فلا شك أيها الإخوة الكرام، أن من الأماني العظيمة، والغايات النبيلة التي يتمناها كل مسلم، ويحلم بها كل مؤمن، أن يخشع في الصلاة، وأن يرقّ قلبه، وأن تدمع عينه، والله -سبحانه وتعالى- قد علمنا في القرآن مفتاحًا لهذا، ومثالًا له أيضًا، فقال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)، الإعراض عن اللغو سبب -بإذن الله- لتحصيل هذه الغاية، وهو أيضًا ثمرة من بعد لوصول الإنسان إليها، واللغو هو: كل ما لا نفع فيه أو به في دين أو دنيا. وقد ثبت في الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، وقد اختلف أئمتنا -رحمهم الله تعالى- في الكلام، هل يُكتب كل كلمة يقولها العبد، أو لا يكتب إلا ما له أو عليه؟

فذهب الإمام مجاهد وكثير من المفسرين: إلى أن الملائكة تكتب كل ما تنطق به، حتى أن أنين النوم، وقال عكرمة -رحمه الله-: "لا تكتب إلا الخير أو الشر, وأما ما لم يكن من الخير أو الشر فإنها لا تكتبه"، قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله -: "والصواب أنها تكتب كل شيء؛ لأن الله تعالى قال: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)، وهذه نكرة في سياق النفي دخلت عليها -مِن- فصارت نصًا في

العموم"، (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ) أيُّ قول، صغيرًا أو كبيرًا، مُهِمًّا أو حقيرًا، له وزن أو ليس له لون ولا طعم، فإنه لديه له رقيب عتيد، يُحصيه ويكتبه, قال: "ثم إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يَعنيه)، فإذا تكلم فيما لا يعنيه نقص من حسن إسلامه وهذا عليه، والله تعالى قال: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)، فأخبر أنك لا تصنع شيئًا إلا كان لك، أو عليك؛ ولذلك فالصحيح والصواب أن الملك يكتب كل فهّة تنطق بها، ثم توزن في الحسنات، أو في السيئات، وقد تكون نقصًا في تمام الإيمان، وإن لم تكن سيئة بعينها".

ثبت عن ابن المبارك -رحمه الله - أنه قال: "قيل لوهيب بن الورد -رحمه الله -: هل يجد حلاوة الطاعة من يعصي؟ قال: ولا من يهمُّ بالمعصية", فهذا يُحرم حلاوة الطاعة، ولذّة ذكر الله -سبحانه وتعالى-, فإذا أكثر الإنسان من الإهذار والثرثرة، فيما يعلم ولا يعلم, فيما ينفع ولا ينفع، كان هذا على حساب إيمانه ويقينه وحلاوة ذكر الله -سبحانه وتعالى- في قلبه.

وقد ثبت في مسند الإمام أحمد، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (مِن حُسن إسلام المرء قلّة كلامه)، وإذا أيقن الإنسان أيها الإخوة الكرام، أن كلامه يُحُصى عليه، فإنه سيستقلُّ منه, أرأيت لو كان أحدنا يتحدث بالهاتف في مكالمة دولية ستأتيه الفاتورة آخر الشهر يئُنُّ منها جيبه، وتتكسر منها ميزانيته، أليس يحسب حسابًا للكلام؟ ويختصر ويعتصر، ولا يطوِّل في ما لا نفع فيه ولا عائدة، وهكذا الأمر عندما يشعر الإنسان أن كلامه فواتير في ميزانه، ستثقل بها موازينه أو تخف، عند ذلك أيضًا سيحسب للكلام حسابه وسيعدُّه عدًا.

ولذلك حث النبي -صلى الله عليه وسلم- كثيرًا كثيرًا على ضبط اللسان وحفظ الكلام, ثبت في سنن الترمذي والنسائي وابن ماجه بسند صحيح، عن سفيان بن عبد الله الثقفي -رضي الله عنه- قال: "جئت

إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله، مُرني بأمر أعتصِم به"، قال: (قل ربيَّ الله، ثم اسْتَقِم)، قال: "قلت يا رسول الله فما أتقِي؟ -ما الشيء الذي أتقيه وأحذر أذاه وعاقبته- قال: -وفي رواية للترمذي -: "يا رسول الله، ما أخوف ما تخوَّف علي منه؟", فأخذ بلسان نفسه -عليه الصلاة والسلام- وقال: (هذا)، هذا أخوف ما أخاف عليك، أن يُرديك في جهنم، وأن يسوء عاقبتك, وجاء كذلك في سنن الترمذي، عن زوج سعد بن عجرة -رضي الله عنهم جميعًا- أنها توفي عنها زوجها فقالت: "هنيئًا لك الجنة" - صحابي ومات على الإسلام وعلى لا إله إلا الله-, فقالت: "هنيئًا لك الجنة"، قال النبي -صلى الله عليه وسلم -: (وما يدريكِ أنه من أهل الجنة؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، أو يبخل بما لا يُغنيه)، ولذلك من أين لكِ أنه من أهل الجنة؟

ونحن أيها الإخوة الأكارم قد أُمرنا بأن نكُفَّ وأن نُمسك عن فضول الكلام، وأن نبذل فضول الأموال وأن نتصدق بها في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، فعكسنا الأمر وقلبنا الآية, وأنفقنا فضول الكلام في ما ينفع وما لا ينفع، وأمسكنا فضول الأموال.

وكذلك ثبت في الترمذي عن جابر -رضي الله عنه- بسند حسن، و رواه أحمد أيضًا بسند صحيح عن أبي ثعلبة الخُشني -رضي الله عنهم جميعًا- أنهما قالا: "سمعنا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون، والمتشدِّقون، والمُتفيهقُون) قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدِّقون، فما المُتفيهقون؟ قال: (المتكبرون). الثرثارون، والمتشدقون: الذي يتشدق بالكلام، ويتكلف الفصاحة والبلاغة في تكلُّف ممجوج. وكذلك المتفيهقون وهم المتكبرون. والثرثار كما نعلم هو المِهذار، ثرثار هو الذي كلامه يكثر، والمتفيقهون هو من تكبَّر. ونحن أيضًا كما ذكرنا في أول الدرس أيها الإخوة الأكارم، من الأماني العزيزة على قلب كل مؤمن أن يخشع في صلاته، كذلك من الغايات والآمال والأحلام الكبيرة التي يُمني كل

مؤمن نفسه بها، أن ينجو يوم القيامة، وقد أرشدنا النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى مفتاح ذلك كما في الترمذي بسند حسن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من صَمَتَ نجا)، ألست تريد النجاة أيها المؤمن؟ ألسنا كلنا نريد أن ننجو؟ (من صمت نجا) وهذه وصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم -.

ثبت في مسند الإمام أحمد، وفي سنن الترمذي، عن عقبة بن عامر -رضي الله عنهم جميعًا- قال: "قلت للنبي -صلى الله عليه وسلم -: ما النجاة؟" ماهي أسباب النجاة وأصولها ومفاتيحها وأبوابها؟ قال: (أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك)، (أمسك عليك لسانك) فلا تُطلقه فيما ينفع وما لا ينفع، (ولِيَسَعْكَ بيتك) لا تُكثر التجوال والذهاب والإياب من غير ما منفعة، وهذا إذا كان في طرق المدينة ودروب أطهر أرض الله -سبحانه وتعالى-، فكيف به في دروب هذا الزمان، وطرق هذه الأيام؟! وفعلًا من أراد النجاة فليسعه بيته ولا يخرج إلا لحاجة، وأما و خروج الشاب خاصة للتجوال، والمرور في الأسواق، والذهاب والإياب فاته يتعرض لِفخاخ لا تُحصى، ومزالق لا يحصيها إلا الله -سبحانه وتعالى -. (وابكِ على خطيئتك)، ولو أراد كلٌّ منا أيها الإخوة الأكارم، أن يعرض نفسه على هذا الميثاق، ليرى هل ينجو أم لا ينجو؟ هل أخذ بمفاتيح وأسباب النجاة أو لا؟ فأظن أننا جميعًا والله المستعان، ربما لم نحصِّل منها إلا شيئًا يسيرًا.

وذلك أن كثرة الكلام أيها الإخوة الأكارم هو مظِنَّة للوقوع في الخطأ والمعصية والزلة، كما قالت العرب قديمًا: "من أَكْثَرَ أَهْجَرَ"، من أكثر من الكلام أهجر؛ أي جاء بالهُجْر من القول: وهو الكلام القبيح السافر، كما قال تعالى: (سَامِرًا تهْجُرُونَ)، يعني تسمرون معًا وتتكلمون بكلام سيء قبيح، وقد ثبت عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: "من كثر كلامه كثر سقطه, ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به"، وربما زلَّ لسانك زلَّة، و فُهْتَ بِفَاهةٍ لم تحسب لها حسابًا، ولم تزنها كما ينبغي قبل أن

تطلقها، يكون فيها خسارك، وسوء العاقبة والمنقَلب والعياذ بالله.

وقد ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها -يعني يلقيها على عوائمها من غير أن يزنها من غير أن يتديرها من غير أن يفكّر فيها- يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب)، وفي حديث الإمام أحمد والترمذي، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا - يعني يراها خفيفة سهلة (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ) - يهوي بها في النار سبعين خريفًا)، يعني يهوي حتى يصل إلى قاع النار بكلمة واحد.

الكلمة أيها الإخوة الأكارم قد تكون سببًا للخلود الأبدي في الجنة، وقد تكون سببًا والعياذ بالله لاستحقاق الجحيم، الكلمة (لا إله إلا الله) ميثاق الجنة. وقد تكون هذه الكلمة أيضًا قد تكون الكلمة تنطق بها من غير أن تزنها، تنقض (لا إله إلا الله)، وقد تكون سببًا لخلودك في الجحيم والعياذ بالله، ولذلك جاء في حديث الإمام أحمد، في حديث سلمان بن سحيم عن أمه قالت: "سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن الرجل ليدنو من الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيتكلم بالكلمة فيتباعد منها أبعد من صنعاء)، كلمة ردَّته إلى الوراء هذه المسافة الشاسعة.

وعلى العكس فكما قلت قد تكون الكلمة الطيبة سببًا لرضوان الله تعالى، واستحقاق الجنان، ثبت في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي والتسائي، عن بلال بن الحارث -رضي الله عنه- قال: "سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه).

وما أبخلنا أيها الإخوة الكرام بالكلمة الطيبة! نستهين بها نحن نرى دائمًا، وهذا المنظر يتكرر، نأتي إلى الصلاة وهناك باعة على باب المسجد، نمر بهم وكأننا لا نعرفهم وكأننا لم نرهم، ونبخل عليهم بكلمة طيبة: "تفضل يا أخي صلِّ، يا أخي صلِّ الله يهديك"، وربما كانت هذه الكلمة سببًا في هداية مسلم، ويرضى الله -سبحانه وتعالى- بها عنك، ويكتب لك بها رضوانه إلى أن تقف بين يديه -سبحانه وتعالى-، لكن للأسف كثيرًا ما نبخل بهذه الكلمة، ونستحي منها، وأما الكلام الذي لا معنى له، وربما كان سببًا لسخط الله -سبحانه وتعالى- فما أجودنا به والله المستعان.

فهذا اللسان أيها الإنسان، ثعبان يلدغ، وسبع يفترس.

احفظ لسانك أيها الإنسان — لا يلدغنَّك إنه ثعبانْ
كم في المقابر من قَتيل لسانه — كانت تَّهابُ لقاءه الأقرانْ

"لسانك حصانك، إن صنته صانك، وإن هنته أهانك"، وكما قال أكثم بن صيفي: "مقتل الرجل بين فكَّيه". وربما زرع الكلام عداوة وضرارًا، قال الشاعر:

إن كان يُعجبك السكوت فإنه — قد كان يعجِبُ قبلك الأخيارَ
ولئن ندمتَ على سكوتكَ مرةً — فلتندمنَّ على الكلام مِرارا
إن السكوت سلامة ولربما — زرع الكلام عداوة وضِرارا

كم من إخوة كانوا أصفياء، أخلاء، أصدقاء، فرقت بينهما كلمة، ألقاها أحدهم مزاحا جرح بها أخاه جرحًا لا يبرأ، قالوا قديمًا:

جراحات السِّنان لها التِئَامُ — ولا يلتام ما جرح اللسان

وقد يُرجى لجرح السيف بُرءٌ   وجرح الدَّهر ما جرح اللسانُ

جرح اللسان قد يظل إلى الأبد، ولا يبرأ قط، بخلاف جرح السيف أو السنان، وكما قلت كم من إخوة كانوا على خير و ودّ وصفاء، فرقت بينهما مزحة، أو كلمة، ألقاها أحدهم من غير أن يتدبَّرها، من غير أن يزِنها، كانت سبباً في شرخ لا يردم، وجرحٍ لا يندمل، وسبباً لتفرُّق القلوب، وتباغض النفوس والله المستعان.

وهذا كما نعلم -أعني اللسان- هو أعظم باب يدخل منه الناس إلى جهنم, جاء في سنن الترمذي وابن ماجه، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: "قلت للنبي -صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار"، قال: (لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه -ونسأل الله أن ييسره علينا- تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)، ثم قال: (ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا قوله تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، ثم قال -صلى الله عليه وسلم -: (يا معاذ، ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟) قلت: بلى يا رسول الله، قال: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)، ثم قال: (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟) قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، قال: (كُفَّ عليك هذا)، قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: (ثكلتك أمك، وهل يكُبُّ الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم!).

والله تعالى أيها الإخوة الأكارم جعل لك أذنين ولسانًا، لتسمع أكثر مما تتكلم، وليس هذا فقط بل

إن الله تعالى قد حبس لك هذا اللسان في سجنين، سجن من عظم، وسجن من لحم، حتى تتمهل، وتتّئد قبل أن تخرجه فينطق، قبل أن تفك أسره و تخرجه من حبسه، حتى تتئد وتزِن كلامك وتفكّر فيه، وقد جاء في سنن الترمذي بسند حسن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي)، قسوة للقلب سبب لبعد القلوب عن علّام الغيوب سبحانه، وإن أبعد قلوب الناس من ربنا الرحيم قلب قاسٍ، وهذا كما ذكرنا في أول الدرس سبب من أسباب -أعني قلة الكلام- الخشوع والقرب من الله سبحانه وتعالى والعكس بالعكس.

ثبت في كتاب (الصَّمت) لابن أبي الدنيا بسند حسن، عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: "سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (من كفَّ لسانه ستر الله عورته، ومن ملك الله غضبه أجاره الله عذابه، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره)، وهو أكرم الأكرمين -سبحانه وتعالى- من كف لسانه ستر الله عيبه، وكم فضح اللسان من أناس كانوا مستورين بستر من الله، وزلة لسانهم فضحتهم وكشفت المخبوء الذي كان بينهم وبين الله.

قد روي عن سليمان -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: "إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب"، ويحكى عن أرسطو أو أفلاطون أنه كان يقول: "الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وواحد منها في قلة الكلام"، وسنروي قريبًا من هذا إن شاء الله، عن نبي الله عيسى -عليه الصلاة والسلام -.

قال الإمام النووي -رحمه الله -: "في السكوت والصمت فائدة عظيمة، وهي السّلامة"، من صمت نجا، ولا شيء يعدل السلامة.

وقـائلةٍ ما لي أراكَ مُجانِبًـــا أمورًا وفيها للتجـــارة مربحُ
فقلت لها ما لي بربحك حاجة فنحن أناس بالسَّلامة نفرحُ

والسلامة لا يعدلها شيء، والكلمة أسيرتُك فإذا أطلقتها صرت أسيرها، وتملكها فإذا نطقت بها ملكتك. ولذلك كان الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- و هم تربية النبي -عليه الصلاة والسلام- يعاتبون أنفسهم كثيرًا، ويحاسبونها ويراعون هذا الأمر فيها, ثبت في شعب الإيمان للبيهقي، أن أبا بكر -رضي الله عنه- كان إذا خلا بنفسه في بيته، أمسك لسانه وقال: "هذا الذي أوردني الموارد"، وهو الصدِّيق -رضي الله عنه- وأرضاه.

وثبت عن ابن مسعود -رضي الله عنه- في معجم الطبراني بسند حسن، أنه رَقِي يومًا على الصَّفا، ثم نادى بأعلى صوته يخاطب لسانه؛ ليسمع الناس فقال: "يا لسان قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن شر تسلم، وإلّا فسوف تندم"، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، أهذا شيء تقوله من نفسك، أم سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقوله؟ فقال: "بل سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (أكثر خطايا بني آدم في ألسنتهم)؛ لأن هذا العضو سهل التحريك، و وبيل العاقبة والعياذ بالله.

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- أنه قال: "تعلَّموا الصمت كما تتعلَّمون الكلام"؛ تعلموا الصمت، تريد أن تتكلم لكن تلزم نفسك أحيانًا بالصمت؛ ليصبح هذا الأمر لك عادة، "فإن الصمت حِلم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مِضحاكًا من غير عجب، ولا مشَّاءً إلى غير أرب"؛ يعني يتمشى فقط، يذهب ويأتي وليس له أرب ولا عرض ولا حاجة يقضيها، وإنما يقضي وقته في التمشي.

وأخرج أبو نعيم في الحلية، عن ابن عمر -رضي الله عنهم- قال: "أحقُّ ما طهر العبد لسانه"، وقد روى

الإمام أحمد في المسند، عن أنس -رضي الله عنه- قال: "قال النبي -صلى الله عليه وسلم -: (لا يستقيم عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه).

وقد روى ابن سعد عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: "لا يتقي عبدٌ حتى يخزِن من لسانه"؛ يعني يمسك عليه بعض الكلام، فيخزن هذا اللسان، ويحبسه ولا يطلقه حتى يزن كلامه. والله تعالى وصف المؤمنين فقال: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغوِ مَرُّوا كِرَامًا)، هؤلاء عباد الرحمن، إذا مروا باللغو مروا كرامًا، لا يُخالطونه ولا يتدنسون به.

وقد قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: "التقيُّ مُلجَم"؛ يعني له لجام، لا يطلق نفسه، لا يفك لسانه، تقواه تلجم لسانه، فلا ينطق إلا بموجب التقوى، ولا يتكلم إلا بموجب الخوف من الله -سبحانه وتعالى-، وهذا كما جاء في حديث أبي داوود أيضًا: قال -صلى الله عليه وسلم-: (الإيمان قيد الفكّ)، يعني أن المؤمن لولا الإيمان لربما فتك بالناس وآذاهم، وأساء إليهم، لكن الإيمان يقيده ويمنعه عن الفتك بالناس وآذاهم، وكذلك التقيّ ملجم، تلجمه التقوى، ويمنعه إيمانه فلا يتكلم -كما قلت- إلا بعد أن يزن كلامه.

و روى الطبراني، عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه), وكما قلنا وحسبنا قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قولٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ).

أخرج الطبراني عن معاذ -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إنَّكَ لَن تزالَ سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلَّمتَ كُتِبَ لكَ أو عليكَ)، وهذا يرجّح ما ذكرناه آنفا، أن كل كلمة تتكلم بها فهي مكتوبة مسطورة عند الله -سبحانه وتعالى- وفي صحف ملائكته الكرام.

وقد ثبت في الصحيحين، عن المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، و وأد البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال)، قيل وقال.

وفي سنن أبي داوود قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (بئس مطيَّة الرجل زَعَمُوا)، "سمعت، قالوا لي، حكوا لي .. "، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون ناقة أو دابة تُنقل عليها الإشاعة، والله تعالى قد وبَّخ المؤمنين فقال: (لَوْ خَرَجوا فِيكُمْ مَا زَادوكمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهَمْ وَاللَهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)، عن المنافقين، ما معنى أَوْضَعُوْا؟ أوضعوا كما قال ورقة بن نوفل لما جاءه للنبي -صلى الله عليه وسلم- أو جاءه الخبر: "يا ليتني فيها جزع، أخُبُّ فيها وأضع؛ الجزع: للشاب القوي لأنه كان في آخر عمره، "أخب فيها وأضع"؛ الخبب: سير سريع، وكذلك الإيضاع، من الإيضاع وهو سرعة المشي, و لَأَوْضَعُوْا: أي لأسرعوا فيكم، (وَلأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ)، يعني هم يسرعون في نشر الفتنة والفساد و السوء بينكم، ثم قال تعالى: (وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)، قيل فيها قولان: قيل يسمعون فينقلون لكم الكلام، والصحيح الثاني: (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لهُمْ)، الله تعالى يعيب على المؤمنين أن بعضهم يحسن الظن بهؤلاء المنافقين، فيفضي لهم، ويستمع إليهم، فيتأثر بهم، والإنسان لا بد أن يتأثر، وهذا لاشك أنه نقطة سوداء، ينبغي للمؤمن أن يكون عاقلًا فطنًا، وألّا يحسن الظن بالمنافقين، وألّا يستمع إليهم، (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)، على سبيل العتاب والتوبيخ من الله -سبحانه وتعالى -.

والمؤمن كلما زاد إيمانه رزقه الله فرقانًا، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)، فرقان يفرِّق الإنسان بين الحق والباطل، وبين المحِق والمبطِل، فلا يكون أُذنًا يستمع لكل إنسان، وإنما يميز بين المؤمن فيقبل منه، وبين المنافق فيُحجم عنه ويصدّ ويصمّ أذنه، (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لهُمْ)، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، (وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال).

لقاء النَاس ليس يُفيد شيئًا　　　سِوى الهذيان مِنْ قيلٍ وقالِ
فأقلل مِن لقاء النَّـاس إلاَّ　　　لأخذ العلم أو إصلاح حـالِ

ومن أراد الايمان فعليه أن يضم لسانه وأن يلجمه، ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الأخر -خطاب لنا جميعًا إن شاء الله أيها الإخوة الكرام- فليقل خيرًا او ليصمت).

وفي الأثر كما ذكرنا قبل قليل عن نبي الله عيسى -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: (العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت والعاشر اعتزال الخلق فيما لا ينفع). وإذا أردت أن تعرف قدرك عند الله فكما ذكرنا مرارًا، انظر بأي شيء شغلك، ولذلك جاء عن الحسن البصري -رحمه الله- أنه قال: "من علامة خذلان العبد أن يشغله الله فيما لا يعنيه"، فيما لا يقرّبه إلى الله، فيما لا يعود عليه ينفع في دين ولا دنيا، دائمًا يتتبع الحكايات، ويتسقَّط الأخبار تنفع أو لا تنفع، وهو ما شاء الله موسوعة في الإشاعات والله المستعان، وهذه من علامة الخذلان.

ثبت عن معروف الكرخي أنه قال: "كلام العبد في ما لا يعنيه خذلان وحماقة"؛ خذلان من الله له، وحماقة منه يعود ضررها عليه.

وإذا كان الإنسان مأمورًا بالصمت؛ فإن النفس لا بد أن تنشغل بشيء، ونفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، فلا ينبغي للإنسان أن يصمت صمتًا مطلقًا، وإنما يصمت عن الشر، ثم يذكر ويشتغل بذكر الله -سبحانه وتعالى-، وأيضًا إذا أراد أن يتكلم فليتكلم بالخير.

وليس معنى هذا أيها الإخوة الكرام أن الإنسان لا يمزح، فلم يكن هذا خلق نبينا -صلى الله عليه و

سلم- بل كان يمزح عليه الصلاة والسلام، وهكذا كان صحابته -رضي الله عنهم-، لكن المزاح ينبغي أن يكون كالملح في الطعام، فلا يكون شأن الإنسان في ليلة ونهاره، ولا يكون المزاح هجّيرًا، وقديما قال عمر -رضي الله عنه -: "من مزح استُخِف به"، يعني المزَّيح دائمًا يمزح، هذا يسقط من أعين الناس، ويسقط قدره، ويصبح ملطشة وكل الناس تضحك منه أو عليه، أوتسخر منه أو تمازحه، وينبغي للمؤمن أن يحفظ لنفسه قدرها ومقامها، يمزح لكن بقدر وبالحق ﴿وَ بِالحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ﴾، ونسأل الله تعالى...

- اِنْقَطَاعُ التَّسْجِيلُ -

ميراث الأنبياء ١٤٤٧هـ

محاضرة قيمة ألقاها الشيخ أبو
أنس الشامي -تقبله الله تعالى-